و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

تخلية المكان قبل رمضان

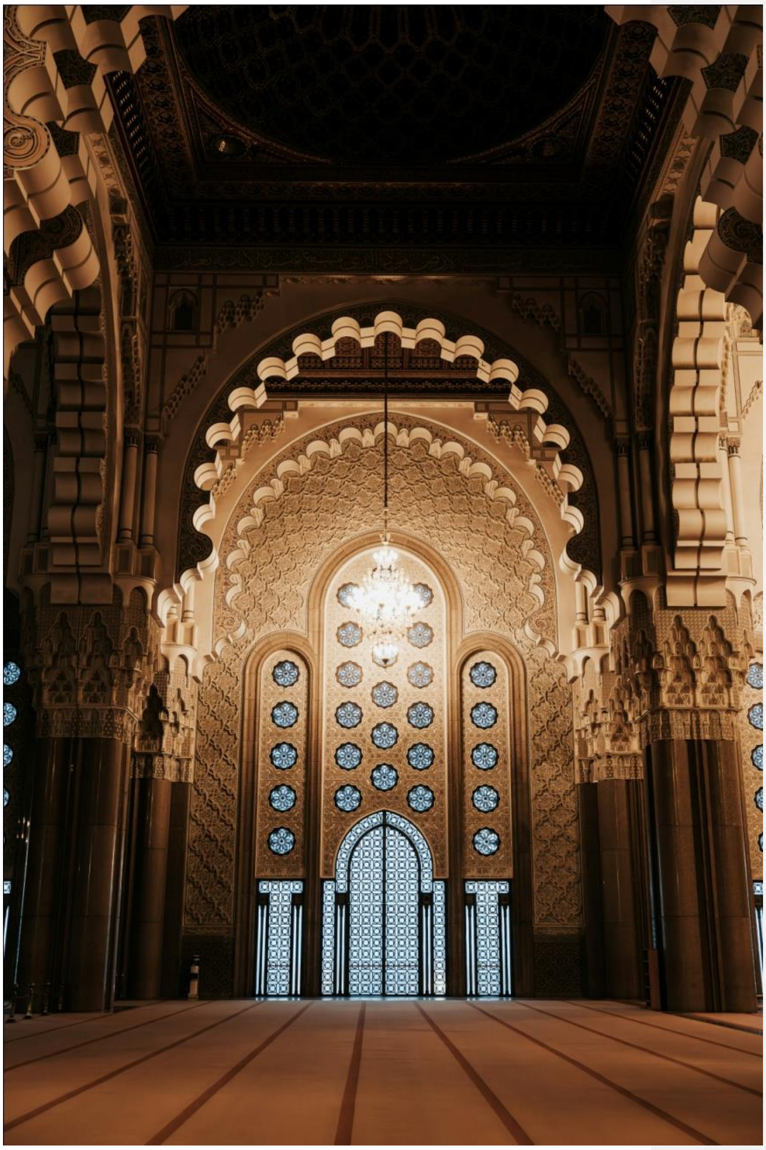

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٤/٧/٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بغروب هذه الشمس ينتهي اليوم الثامن من رجب وندخل في الليلة التاسعة، وهذا يعني أنه قد مضى ثلث رجب، والثلث كثير!

وكما هو معلوم عن هذه الشهور أنَّ فيها فضلًا عظيمًا، قال الله تعالى: "فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ" (التوبة:٣٦) .

إنَّ الواجب في هذه الأشهر وفق مراد الله عزَّوجل ألَّا يظلم الإنسان نفسه في الأشهر الحرم، وهي: ذوالقعدة وذو الحجة، ومحرم. لكن شهر رجب أتى متفردًا عنهم؛ **لأنه تمهيد لأول فترة تسبق شهر الله العظيم رمضان.**

إنَّ رجب هو شهر الله الحرام، الذي يأتي بعده شعبان وهو يحمل الكثير من العبادات التي أخبر عنها النَّبي ، ثم يأتي من بعده الشهر الذي يعرف بالخير، لذلك فإنَّ أي فرصة للفلاح أو للكسب أو للفوز أو للعتق في رمضان تبدأ من التمهيد لها من الآن، فكل رمضان مضى كان فيه فرصٌ تُعد ولا تحصى للعتق من النار، إذ كل ليلة من ليالي رمضان لديك فرصة للعتق من النار، كم رمضان مضى عليك؟ ٢٠؟ ٣٠؟ أي أنَّك كنت تملك ما يقارب ٣٠٠ فرصة للعتق من النار، وقد يكون حتى الآن لم تعتق رقابنا من النار! ولذلك يجب الاستعداد لشهر الله الكريم حتى نكون من الفائزين فيه.

كان السلف إذا انتهى رمضان يسألون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، ثم يجلسون ستة أشهر يدعون الله عزَّ وجل أن يبلغهم رمضان القادم، وبعضهم منذُ أن ينتهي رمضان وهو يفكر كيف يستعد لرمضان القادم؟!

أين نحنُ من هؤلاء؟ كيف أشغلتنا الدُّنيا فور انتهاء رمضان؟ بدأت وانتهت أشياء كثيرة، مضى ما يقارب السنة منذ انتهاء رمضان، ونحن على ما نحن عليه، إنَّ الحياة سريعة، وتخطفنا تخطفًا سريعًا جدًا، والسعيد فيها هو من يستعد لآخرته قبل دنياه، ولا يمكن للإنسان أن يسعد في آخرته إلا إذا استعد، وخصوصًا في مواسم الخيرات.

إنَّ رجب شهر البذر، وشعبان شهر السقيا، ورمضان شهر الحصاد، إنَّ الإنسان يضع البذرة ثم يسقيها ثم يجني ثمارها كما هو معلوم ، والأمر نفسه ينطبق على عبادتك، فرمضان هو وقت بلوغ النتائج التي كنت تعمل عليها منذ ثلاثة أشهر، ما هي النتائج التي يجب أن نحصل عليها في رمضان؟!

أولًا: كيف هي قلوبكم مع الله؟

كيف أحوالك الشخصية مع الله عز وجل؟ كيف قلبك وعلاقتك وقربك مع الله عز وجل؟ آخر صلاة لك كيف كانت؟ هل تلذذتِ فيها؟ كيف هو قيامك بالليل؟ هذه الأسئلة مهمة جدًا؛ لأنها تختزل عليك غاية الحياة، قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"(الذاريات: ٥٦) .

نحن هنا على كوكب الأرض من أجل عبادة الله فقط، مهما كان موقعك في الحياة لا تنسَ الغاية العظمى التي خُلِقت لأجلها.

فسواء كنتِ أمًّا أم أبًا فالمراد منك عبادة الله، كنتَ موظفًا أو لا فالمراد منك عبادة الله، كنت مديرًا فالمراد منك عبادة الله، وهذا هو الهدف الأساسي.

كيف هي أحوالك مع هدفك الأساسي؟ هل أنت قريب في علاقتك مع الله؟

هناك استبانة أُجريت لمجموعة من الناس، تحتوي على عدة أسئلة، منها: هل حددت هدفك في طريقك إلى الله عز وجل؟ بمعنى هل حددت ما هو الطريق الذي تريد أن تسلكه في علاقتك مع الله؟ ما هي الأمور التي تتقرب إلى الله بها؟ حضور دروس؟ ترك أغاني؟ حفظ القرآن؟ ترك ذنب ما؟

كثير من الناس أجاب على هذا السؤال بأنَّه لا يملك حتى الآن أهدافًا واضحة، نعم! لدي الرغبة ولدي العزيمة لكن لا أعلم ماذا أفعل؟ ومن أين أبدأ...؟

إن وجدت الأهداف غابت العزيمة والعكس كذلك، ولذلك كان أكثر من ٦٠٪ من نتائج الأهداف تتأرجح ما بين لدي أهداف لكن لا أملك عزيمة، وبين أملك عزيمة لكن أهدافي غير واضحة، وكلاهما في زحام الحياة سيضيع! ونسبة ٤٠٪ هم من كانت لديهم خطة واضحة بجدول واضح تبني نفسها وتستعد لأجل الآخرة بطريقة ممنهجة.

أيضًا هذا السؤال كان من ضمن الأسئلة: **كم تبلغ فترة ابتعادك عن الله عز وجل؟ بمعنى كم تسمح لنفسك تبعد عنه؟ شهر؟ شهرين؟ كم تبلغ تلك الفترة؟**

الأصل أن تكون المدة قصيرة جدًا، إذا عصيت الله لا تسمح لنفسك أن يأتي الليل إلا وأنت ندمان تائب لله عز وجل وصادق في توبتك! قال ابن مسعود رضي الله عنه : "**المؤمن كالطائر ما إن يتلبس بذنب، إلا أصبح كالطائر الذي التبس بماء، فيرفرف بجناح إلى أن يذهب الماء ويحلق من جديد**". لكن! لو رضيت لنفسك أن تكون ملطخًا بالماء فلن تتمكن من التحليق.

كثير من الأحيان تأتي لحظات للإنسان يشعر فيها أن يعيش بدوامة! شعور بالتخبط وعدم وضوح بنسبة كبيرة، هذا الإحساس ما يأتي من فراغ، هذا إحساس حقيقي للإنسان عندما يشعر أنه في المكان الخاطئ، قد يكون يعبد الله كما يجب، يصلي ويصوم ويتصدق و.. و...، لكن قلبه غير حاضر! أصبحت العبادات عادات، فلم نعد نشعر بلذة ومشاعر في عباداتنا.

أيضًا هذا السؤال كان من ضمن الأسئلة: **ما هو السبب في ضعف إيمانك وعلاقتك بالله؟** عدم محافظتك على الصلوات؟ عدم محافظتك على وردك اليومي؟ عدم محافظتك على قيام الليل؟ هل هذا فقط؟ أم أن هناك أيضًا شوائب في قلبك؟ حسد، غل، حقد، ...؟

قال أحد السلف: حرست قلبي عشرين سنة وحرسني قلبي عشرين سنة، ثم بتنا محروسين عشرين سنة، وها أنذا أموت في السبعين.

ما معنى حرست قلبي عشرين سنة؟ أي أنه لا يدخل على قلبك إلا ما يرضى الله عز وجل، أي أنك لا تسمع ولا تقول ولا ترى ولا تفعل إلا ما يرضي الله لمدة عشرين سنة، فكل شيء تستقبله تفحصه وتنقيه قبل

أن يدخل إلى قلبك، فما يدخل قلبك إلا كل خير! ليس مدة يوم أو سنة أو سنتين، بل عشرين سنة! ثم حرسه قلبه عشرين سنة، بما كان يفعل من الطاعات فأصبح قلبه لا يقبل إلا كل خير، فمن عاش على شيء مات عليه ومن شب على شيء شاب عليه، وهذا مصداق قول الله عز وجل في الحديث القدسي:" وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا" (أخرجه البخاري في صحيحه).

إنَّ من أول الاستعدادات التي يجب أن نبدأ بها، هي تخلية المكان، وليس المقصود أن نفرغ المكان الذي حولنا فقط، إنما نفرغ قلوبنا مما يشغلها، ومما كان يملؤها خلال أيام السنة دون توقف، قلوبنا صدئة، ملطخة، محملة التحلية. ولذلك يُقال مثلًا: القرآن والغناء يتزاحمون على القلب، فأيهما غلب طرد صاحبه.

إنَّ الإنسان الذي لديه جدول من المسلسلات، وآلاف الأفلام، هذا غير ما يشاهده في مواقع التواصل! أنواع من الحرام تراها في اليوم والليلة وتمر عليك دون أن ينكر قلبك شيئًا منها! كثرة التعرض للحرام تجعل الإنسان يألفه ويستحله بل ويحلله! إذن يجب أن نفرغ ونخلي المكان، ولا نجعل أي شيء يلطخ هذا القلب من جديد.

ويجب أن نستعرض ونتفق على قواعد قبل أن نبدأ بكيفية تخلية المكان، وهي:

١ - القاعدة الأولى: الإيمان يبلى.

كما يبلى كل شيء في الدنيا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الإيمان ليبلى في جوف أحدكم كما يبلى الثوب الخلف" أخرجه الطبراني في معجمه، وقال الألباني صحيح، أي: مثل الثوب الذي يستخدم كثيرًا فيبلى. كذلك الإيمان يبلى، فلا يبقى حاضرًا متجددًا دومًا، فهناك أشياء كثيرة تؤثر عليك، خلال فترات حياتك، أشياء تؤثر فيك قبل سنة، الآن تمر عليها مرور الكرام! لذلك يجب أن نفعل بعض الأمور حتى نعيد تجدد الإيمان في قلوبنا، قال تعالى:" يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ" (النساء:١٣٦).

هذا الخطاب هو خطاب مباشر لأهل الإيمان، أي لو كنت أنت من أهل الإيمان الذين آمنوا بالبرهان، فلا بد أن تؤمن بالبيان، وإذا آمنت أنت تصديقًا، صدّقت أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وأنَّ هذا القرآن هو كتاب الله فآمن بالله تحقيقًا، تحقيقًا تعني تطبيقًا وعملًا. وكلنا نؤمن أنَّ النَّار والجنة حق، ويوم القيامة والبرزخ حق، لكن إلى أي درجة هذا الإيمان حاضر في قلوبنا وأذهاننا؟ إلى أي درجة هذا الإيمان أمام عيوننا في كل قرار نتخذه؟

وقال الله تعالى:"وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (النور:٣١) لاحظوا هنا ما قال الله عز وجل وتوبوا إلى الله أيها المذنبون! الله عز وجل ينادي المؤمنين، عباد الله المخلصين، فيقول لهم: توبوا! **التوبة وظيفة العمر، ليست قرارًا تتخذه مرة في حياتك فقط، بل يجب أن تكون متجددة معك دائما.**

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: **إني أجدد إسلامي في كل يوم، وبعد لم أسلم إسلامًا جيدًا.** وهو شيخ الإسلام ابن تيمية، ومع ذلك يقول كل يوم وهو يجدد إسلامه، كأنه يدخل في الدين من جديد، يعني هو

جاوز التوبة والاستغفار، هو كل يوم يجدد إيمانه بالله، وكأنه دخل الإسلام من جديد، هل كل يوم حاضر في قلبك هذا الشعور؟ إن لم يكن كذلك فراجع نفسك وقلبك وعقلك.

٢-القاعدة الثانية: أن الإيمان هو مصدر الطاقة، والحارس الذي يحرس.

جاء النبي صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام وصام يومًا بليلة، يومًا بليلة، يومًا بليلة، فواصل الصيام ولم يفطر لمدة ثلاثة أيام، فسمع الصحابة ذلك فظنوا أنَّ هذا شيئًا من السنن المستحبة، فأصبحوا يتبعون ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، فعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك نهاهم عن الفعل. وهذا دل على مدى يُسر ديننا الحنيف، فمن السنة تعجيل الفطور، ومن السنة تناول السحور، فهذه السنن رحمة بالعبد ليستمر على الطاعة، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :"لَا تُوَاصِلُوا، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي" (أخرجه البخاري في صحيحه).

والمعنى: أنَّ من حلاوة ما كان يجد النبي صلى الله عليه وسلم من لذة في مناجاته مع الله عز وجل كان ينسيه ما فيه من شعور الجوع والحاجة.

كما أنه كل ما كان الإيمان أشد في قلبك كلما ثبت الإنسان أمام الفتن، فيصبح الإيمان واقفًا بقوة أمام كل فتنة تأتيه، وكل حرام يتزين له، فالحرام يتزين ويتحلى بالحلال، لكن إذا كان الإيمان قويًا وثابتًا فسيكون هو حارسك الشخصي الذي يبعد عنك الشيطان في تلك اللحظة.

٣-القاعدة الثالثة: الإيمان يزيد وينقص.

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذه وصفة لمنهج الحياة، ومعتقد لدى أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد وينقص وهو مراحل، قال النبي صلى الله عليه وسلم :" الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"(أخرجه مسلم في صحيحه)، وقال تعالى:"وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ" (المدثر:٣١)

وقال تعالى:" وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا" (الأنفال:٢)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، ... فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ"(أخرجه ابي داود في سننه، وقال الالباني صحيح) والمعنى: كأنَّ إيمانه كان ناقصًا، لكنه بدأ يزيد في الإيمان، وبدأ يحب لله ويبغض لله فقد استكمل مراتب الإيمان.

فالواجب على الإنسان أن يعرف أنَّه إن لم يكن في علو فهو في نزول، وهذه قاعدة إذا ما كنت أمشي وأسرع في طريقي إلى الله عز وجل إذن أنا في نزول، أي إن لم تكن تزداد يوميًا فأنت في نزول! لا يوجد ثبات على الخط في الدين!

فعن ابن عون-رحمه الله- أنَّه يقول: **صاحبت الإمام أحمد-رحمه الله-عشرين سنة ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً فما وجدته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس.**

كذلك يجب أن تعلم بأنَّ الإيمان لا يرتبط فقط بالجوارح، فلا يكون فقط زيادة في عدد الركعات والذكر والصدقات وغيره، مع أنه خير وطاعة، لكن الأساس في أعمال القلوب، فقد يكون الإنسان يزيد في أعمال جوارحه لكنَّ قلبه على حاله! فلا يزداد خشوعًا ولا رهبةً ولا قربًا من الله؛ لأنه اعتاد! اعتاد العبادة، وقد يكون لأنَّ القلب مليء بالحقد والحسد والغل والكبر، ونحن دومًا نركز على الظاهر لكن لا نركز على الباطن، نركز على أداء الصلاة لكن لا نركز على جودة هذه الصلاة! إنَّ القلب هو مستودع الإيمان.

قال ابن القيم-رحمه الله-: **إنَّ ربنا سبحانه وتعالى يتعبد العبدِ بأمرين: بأحكام عند الأوامر وأحكام عند النوازل.**

الأوامر، مثل: الصلاة، الصيام، الحجاب، وهذه نحن يجب أن نفعلها ونتعبد بها، والنواهي، مثل: الأغاني، الخمر، الزنا، وهذه نحن يجب أن نتركها ونتعبد الله بتركها. فما هي النوازل؟ هي المصائب والابتلاءات، والابتلاء قد يكون بخير! قد يكون الابتلاء بدنيا تفتح عليك، بملايين تدخل في حسابك فهذا ابتلاء بالسراء.

إذن تعبدنا عند الأوامر ظاهريًا: صلاة، صيام، حجاب، فهذه تعبدنا لله بها تعبدًا ظاهريًا، وتعبدنا عند النوازل قلبيًا: الصبر، الشكر، الرضا، اليقين، الفرج، الرضا، فهذه تعبدنا لله بها تعبدًا قلبيًا، إذن العبد لو أحسن في الأوامر لَطَفَ الله به في البواطن والنوازل؛ فقالوا حسِّن عبادتك في الأوامر يلطف الله عز وجل بك في النوازل وفي البواطن. **وهذا معنى تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ فيعرفُك في الشِّدة.**

قال الله عز وجل في الحديث القدسي:"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،..."(أخرجه البخاري في صحيحه).

٤- القاعدة الرابعة: الإيمان قول وعمل. قول باللسان وقول بالقلب، وعمل بالجوارح وعمل بالقلب.

-قول اللسان: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

-عمل القلب: المحبة والخوف والرجاء والرجاء والتوكل.

-قول القلب: ما هو قول القلب؟

إذا قال الإنسان أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هذا قول باللسان وهذا من مراتب الإيمان، وقالوا قول القلب: التصديق بذلك.

ومعنى هذا أن تصدق وتؤمن حقًا أن لا إله إلا الله، وأن لا رب معبود بحق إلا الله جل جلاله، ولا أحد في الدنيا يستحق أني أنا ائتمر بأمره أو أنتهي بنهيه إلا الله عز وجل.

هل هذا ما يحرك أفعالك أيضًا؟ عندما تغلق باب غرفتك، هل تجعل الله أهون الناظرين إليك؟ لو كان القلب مصدّقًا بلا إله إلا الله، فكيف ستهون عليه لمّا اختلى بنفسه أن يُقدم على الذنب؟ السميع؟ البصير؟ الذي يراك. أي جرأة؟ لو كان القلب مصدّقًا بـ لا إله إلا الله لما اشترى.

نحن مؤمنون نظريًا، لكن أين إيماننا في حقيقة أعمالنا؟ نحتاج إلى أن نؤمن تحقيقًا كما آمنّا تصديقًا منا، وهذا الإيمان هو الذي يهجم على المعاصي في لحظة خلوة، لو كان الله عز وجل هو الكبير هو المتعال في قلبه لما فعل ذلك الذنب أبداً ولا يمكن أن يفعله لأنَّ الله عظيم في قلبه.

واحد من الرجال الذين كانوا في الغار، كاد أن يزني! بمن؟ بابنة عمته فيقول: كانت من أحب الخلق إليَّ، فلما احتاجت منه مالًا، ما أراد أن يعطيها المال إلّا أن تمكنه من نفسها، قالت له: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه؛ ذكرته بالله، وأنَّ ما بينه وبين الوقوع في الحرام إلا هذه اللحظة، وهذه قد تكون من أصعب اللحظات بالنسبة للرجل، ومع ذلك ما إن تمتمت إلا وقال: فقمت عنها وهي من أحب الخلق إليَّ.

هنا نفهم أنَّ الإيمان يبلى، وأنَّ الإيمان هو الحارس الشخصي لك، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وهنا نفهم أنَّ الإيمان هو قول وعمل بالقلب، ما حصل هنا هو التصديق الحقيقي لمفهوم أنَّ الله هو الذي يرى، وأنَّ الله هو الذي يسمع، ولذلك نقول إنَّ القلب لو كان مملوءً بتعظيم الله عز وجل لما فعل تلك المعصية.

قال تعالى:" وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ"(الأنعام:١٢٠).

فالله عز وجل أمرنا بأن نترك الإثم بأنواعه ظاهره وباطنه فذر الحرام الظاهر للناس، وذر الحرام الباطن الذي يغيب عن نظر الناس.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ" (أخرجه البخاري في صحيحه) .

وقال السلف: إنما يتعثر من لم يخلص. فمن لم يخلص لله ولا يصدق تصديقًا حقيقيًا تتعثر خطواته، لأنه لا يرد سوى مدح الناس، ويفعلها لأجل وجه الناس ، وليس وجه الله.

نختم القواعد الأربع بقول الله عز وجل لمّا جعل النجاة يوم القيامة لنوع واحد من القلوب ألا وهو القلب السليم، قال تعالى: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: ٨٩) .

كيف نصل للقلب السليم؟

ا - أن يكون سليمًا من الشرك:

ليس المقصود بالشرك شرك اللات والعزى فقط، بل شرك المحبوب أيضًا، أي أن لا تخاف أحدًا دون الله ولا ترجي أحدًا غيره.. فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومتى ما بدأنا نصرف شيئًا من الحب، أو نتوكل على أحد من الخلق حتى ولو كان طبيبًا وأمري كله بيد الطبيب وبيده العملية وهو أحسن الأطباء لو لم يرد الله الشفاء، ولو لم يكتب الله الشفاء هل يقدر هذا الطبيب؟ لا؛ إذن لا تصرف قلبك على الأسباب لا زوج لا طبيب لا مدير، وإنما يكون القلب موحدًا خالصًا لله فهذا الأولى.

٢- أن يكون سليمًا من البدعة.

البدعة ليست شرطًا أن تكون هي مولد أو من أمور الشعوذة أو الخزعبلات، بل قد تكون البدعة في اختراع طريق يوصلك إلى الله عز وجل لم يأتِ به أحد، فمثلاً تقول: أنا سأعبد الله بثلاث صلوات فقط والصلاتان لا أقدر عليهما! أو أنا سأصلي وأصوم وأترك الحجاب لأني غير مقتنعة فيه، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ" (الأحزاب:٥٩)، فلا نكون مثل بني إسرائيل حين يقول الله عز وجل عنهم في قوله تعالى:"أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَـٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡض" (البقرة: ٨٥)! الدين ليس كما ترى، بل كما يرى الله عزَّ وجل.

٣- أن يكون هذا القلب سليمًا من الشهوة التي تخالف الأمر.

فيكون سليمًا من الشرك سليمًا من البدعة هذه كلها تخلية وأيضا تخلي القلب من هذه الشهوات التي تخالف الأمر، فمثلًا: النساء يحببن الزينة، لكن ما الذي يجعلهم يأتمرون لأمر الله ولا يبدين زينتهن إلا لمن يحل لهن؟ الله عز وجل وأوامره؛ لأن جزءً من هذه الشهوات هي فيما يحب الإنسان.

يقول عمر: والله لولا يوم القيامة لكان غير ذلك. أي أنَّ الإنسان فتح على نفسه بابًا ولكن لنا يومًا سنحاسب عليه، لذلك الإنسان يسعى ويحرص أن يحجم تلك الشهوات إذا كان فيها مخالفة لأمر الله عزَّ وجل حتى يرضى الله عليه فيرضى بذلك.

٤- أن يكون هذا القلب سليمًا من الغفلة فهو يذكر الله عز وجل دائمًا.

صفات المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس؛ لأنَّهم غافلون تمامًا، فالله عزَّ وجل ليس من أكبر اهتماماتهم، ولا يتذكر الله عز وجل حتى في أي ذكر؛ فهواه ومزاجه هو من يحركه، إن شاء يصلي الظهر ويترك العصر لأنَّ العصر لم تأتِ على هواه!

إذن يجب أن يكون القلب السليم سليمًا من الغفلة وسليمًا من الهوى.. الهوى الذي يقول عنه الله عز وجل في قوله تعالى:"أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ" (الجاثية :٢٣) .

إذن كيف نعالج قلوبنا؟

أولًا: يجب أن نتغير قبل أن نعالج قلوبنا! ومعادلة التغيير تشتمل على خمسة أطراف:

١ - أن يكون لدينا الرغبة.

٢- أن يكون لدينا الخطة والمنهج.

٣- أن يكون لدينا العمل.

٤- أن يكون لدينا القدرة على التطبيق.

٥- أن يكون لدينا العزيمة على الاستمرار عليه.

لو تخلفت في أي طرف من الأطراف فلن تتغير! إن كانت لديك الرغبة والفكرة وعملت وطبقت لكنك لم تستمر فهذا لا يعتبر تغير ولا تحسين!

إذن بعد أن تغيرنا، كيف نعالج قلوبنا بشكل حقيقي الآن؟

الأمر الأول: تخلية المكان

القلب يجب أن يكون متطهرًا صالحًا لأمر الله عز وجل، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ"(أخرجه مسلم في صحيحه) .

أي أن: الأصل فينا الضعف والأصل فينا الخطأ والأصل فينا الذنب؛ نحن لسنا ملائكة، نحن مذنبون خطاؤون ، إذن استغفر!

لا تتعامل مع الذنب باعتيادية! لا تعتاد الحرام، استغفر الله على ذنوبك التي تعلمها والتي لم تعلمها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:"اتَّقِ اللَّه حيثُما كنتَ، وأتبِعِ السَّيِّئةَ الحسَنةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ"(أخرجه الترمذي في سننه وقال الالباني حسن)، اتبع السيئة بالحسنة لكن لا تفعل العكس، ولا تتبع السيئة بالسيئة! لا تسأل عن حال قلبك إن اعتاد على الذنوب والمعاصي!!

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ " (أخرجه الترمذي في سننه وقال الالباني حسن) .

لابد أن تأتي لحظات الفتور على الإنسان، ولن يمر بها مرة واحدة، سيمر بها عدة مرات وقد تأتي لفترات طويلة ولفترات قصيرة! فمن كانت فترته إلى سنة النبي فقد فاز ، فالأهم أن فترة فتورك تكون محافظ فيها على صلاتك وسننك! وتقاوم فتورك حتى يتجدد الإيمان في قلبك.. وهذا هو الفرق بين المؤمن وبين الجاهل.

قبل تجاوز هذه النقطة يجب أن تقيم ثلاث واجبات عليك:

- **الواجب الأول: أحط نفسك دائمًا بمن يذكرك بالله.**

اجعل لك جدول حلقات ومجالس ذكر مثلًا، من الأحد إلى السبت، ماهي الأيام التي تناسبك لحضور مجالس ذكر فيها؟ ضع في أسبوعك فترات للتزود، لا تدع كل الأسبوع يعتمد فقط على عبادة واحدة، نوّع في عبادتك لله، وكلما أكثرت كلما كان خيرًا لك.

- **الواجب الثاني: جدد توبتك من كل أمر لا يرضي الله عز وجل.**

جدد علاقتك بالنواهي والأوامر وطريقة تعاملك مع كلٍّ منها، لماذا تفعل الحرام؟ ولأجل من؟ هل يستحق هذا الحرام أن أتعذب في قبري لأجله؟ هل تريد التوبة؟ ما الذي يجعلك تتردد؟ فكر مع نفسك بهذه الأسئلة، اجلس لوحدك وفكر! ولا تهرب من وحدتك، كثير منّا عندما يجلس وحيدًا وتبدأ خواطره يشغل نفسه بأي شيء آخر، لكن نحن نحتاج أن نفكر وأن نعيد حساباتنا مع أنفسنا أمام الله؛ حتى تتجدد علاقتنا بالله.

- **الواجب الثالث: أحسن الظن بالله عز وجل.**

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،..."(أخرجه البخاري في صحيحه).

لو ظننت أنَّ الله سيكون معك، وأنَّ الله لن يضيعك، وأنَّ الله لن يخيبك، وأنَّ الله سيحقق لك مرادك سواء بالدنيا أو بالآخرة، سواء بالطريقة التي تريدها أو بما يعلمه الله عز وجل، الله لن يضيعك، لن يجعلك الله تؤمن به ويضيعه لك! حاشا لله العزيز الكريم أن يفعل.

ادعُ الله وأنت موقنٌ بالإجابة، ادعُ الله بقلب منكسر ذليل مفتقر له ولجوده ولكرمه، لكنه قلبٌ واثق برحمة الله والله سيكرمك بما فيه الخير لك!

عندما دعا زكريا الله عز وجل ماذا قال؟ قال تعالى: "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا" (مريم: ٥) .

كل الأطباء يقولون إنَّ امرأتي عاقر، ولا يمكن أن تنجب، فيا رب هب لي من لدنك وليًا، ما قال يا رب أريد ولد أفرح به، إنما دعاه بكامل اليقين، فآتاه الله سؤله بالحق!

ضع في بالك أنه لا يمكن أن تسجد لله سجدة وتدعو الله بخالص الصدق واليقين وتظن أن الله لن يستجيب لك! يعقوب دعوته عُلقت سنوات، وهو يدعو ويقول يا رب رد لي يوسف، ويبحث عنه في كل مكان لمدة ثماني عشرة سنة! بكى حتى عميت عيناه ومع ذلك يدعي الله بكامل الإيمان واليقين، أي إيمان هذا؟ وأي حسن ظن بالله؟ وفعلًا يأتيه يوسف وينتهي كل الحزن وترد له عيناه ويقر فؤاده بعد سنوات من الصبر واليقين.

لماذا نستحضر حسن الظن بالله؟ نحن الآن ندخل على رمضان وقلوبنا مليئة بالهموم، مثقلة بالأحزان والابتلاءات، محملون بذنوبنا التي عصينا الله بها، ندخل بقلوبٍ مهمشة هشة، فحسن الظن بالله عز وجل يجعلنا نقبل عليه بكامل افتقارنا وحاجتنا لله.

ولذلك أنصحكم بالعودة إلى استذكار وتدارس أسماء الله الحسنى، فكثرة معرفة الله بأسمائه وصفاته الله تجعلك مقبلًا على الله ومحسنًا الظن فيه.

- **<u>الواجب الرابع: أن تكون على يقين بأن من يعمل سوءً أو حسنًا يُجز عنه.</u>**

في دينك لا تنظر لمن هو أسفل منك، بل إلى من هو أعلى منك. ولا تتكبر على الله بطاعاتك! احذر أن تكون مما يدخل الكبر إلى قلوبهم فيهدم طاعتهم، وكن على يقين بأن من يعمل حسنةً يُجز عنها ومن يعمل سيئة يُجز عنها كذلك، كل ذنب نحن نُذنبه سنُجازى به؛ ومعنى ذلك: أننا يجب أن نكون على حذر من ذنوبنا وخطايانا التي ترافقنا كل يوم وليلة، يجب أن نعلم بأنَّ ذنوبنا التي نتعايش معها إن لم نتركها ولم نتخل عنها ستتخلى عنّا قلوبنا.

- **<u>الواجب الخامس: أن تكون على يقين بأن ما أنت عليه إنما هو من قِبل نفسك.</u>**

قال تعالى:"أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ"(آل عمران:١٦٥) .

فغالبًا لا يُصاب الإنسان بشيء إلاّ من قِبل نفسه، وبسبب ذنب فعله واستسهله، لكن ماذا يفعل الإنسان هنا؟

قال تعالى:"وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ" (الشورى:٣٠).

الله رحيم بنا، ودومًا لنا طريق عودة لله، لا تختم على نفسك بالفسق والفجور لأنك أذنبت! لا تزيد العبء عليك بذنوبك لأنك ارتكبت العديد منها، لا تغرق وترهق نفسك، وإنما ساعد نفسك على العودة لله والتوبة له!

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا"(أخرجه الترمذي في سننه وقال الالباني صحيح) .

إذا أصابتك مصيبة فهي من نفسك، عليك أن تعود وترجع وتستغفر الله، وتعيد حساباتك في علاقتك مع الله عز وجل.

- **<u>الواجب السادس: أن تعلم أن المؤمن يطير إلى الله عز وجل بجناحين: جناح الخوف وجناح الرجاء.</u>**

الخوف يجعل الإنسان يخاف من أن يفعل الذنب، وحسن الرجاء يجعله يؤمّل على الله الأمل.

لو لم تحسن الرجاء بالله عز وجل لما استطعت أن تقف بين يديه وتقول يا رب! حسن الظن بالله هو الذي يجعلنا ندعو الله.

قال تعالى:"لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" (الحديد:٢٣). هذه الجملة الربانية تحمل من معاني الرأفة والرحمة بالإنسان.

لا تحزن على ما فات وتشغل نفسك به، ولا تبطر بالواقع وتفرح بما آتاك الله حتى لا تغتر بنفسك، كن إنسانًا متوازنًا فلا يلتهمك الخوف من الماضي كأنه وحش، بل ارجع الأمور دائمًا إلى الله، واجعل حبالك مربوطة دائمًا بالله عز وجل.

هذه الواجبات لو نريد إسقاطها لعبادات نلتزم بها، سنخرج بهذه العبادات، ويجب أن نتواصى عليها سويًا، هي:

<u>المهمة الأولى: أداء السنن الرواتب.</u>

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَجْدَةً تَطَوُّعًا، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ"(أخرجه مسلم في صحيحه).

هذه الصلاة تؤمن لك القرب من الله عز وجل، فكل ركعة وكل سجدة يرفعك الله بها منزلة ويكفر عنك خطايا ويكتب لك بها حسنة، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء، قال النبي صلى الله عليه

وسلم:" وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ "(أخرجه البخاري في صحيحه). احتسب النية وأنت تصلي أنك تسجد لله واحتسب رغبتك بالتقرب لله عز وجل.

المهمة الثانية: أداء قيام الليل.

الله عز وجل ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، قال الله عز وجل في الحديث القدسي، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له" (أخرجه صحيح البخاري في صحيحه) . ادعُ الله وكن مع قوافل الناس التي تقف على أقدامها في ثلث الليل الآخر، لا تترك ليلتك دون قيام الليل، ولو بعشرة آيات حتى لا تكتب من الغافلين، فمئة آية تجعلك من القانتين، وألف آية تجعلك من المقنطرين، وحاول أن تأتي بها كلها، وهذه الركعات في الليل زيادة في حب الله عز وجل، فاحرص في هذه العبادة أن تجمع بين العمل الظاهر والعمل الباطن.

المهمة الثالثة: المواظبة على صلاة الضحى.

صلاة الضحى هي العمل الظاهري، ما هو العمل الباطني الذي يمكن أن تحتسبه في صلاة الضحى؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا ابنَ آدمَ اكفْني أوَّلَ النَّهارِ أربعَ ركعاتٍ ، أكْفِكَ بهنَّ آخرَ يَومِكَ" (أخرجه الألباني في صحيحه) أي: احتسب أن الله هو الحفيظ، فالله يحفظك عندما تفعل أو تقدم على قرار خاطئ، يحفظك من أن تزل قدمك، هذا الحفظ من الله عز وجل بهذه الركعات فمن صلى أربع ركعات في أول النهار حفظه الله عز وجل إلى آخر النهار.

أيضًا سورة الملك عندما نقرأها قبل النوم هي عمل ظاهري، عندما يوصد على الإنسان في قبره ويُغلق عليه في قبره من الذي ينفعك؟ جاءت هذه السورة وشفعت له ولولا أن الغفّار أذن أن تشفع لك وإلاّ لتعذب في قبرك.

إذن هي عبادات بسيطة يعملها الإنسان لكن لابد أن يستحضر المعنى القلبي، في كل شيء، عند قول أذكارك لا تجعل نيتك فيها فقط حتى يحفظك الله من العين والحسد وغيره، ولكن أيضًا حتى تتقرب لله بها، لذلك لا تنس هذا المعنى القلبي، وهذا في كل الأذكار، حينما نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فاستحضر سنته واستحضر القرب منه.

هذه فقط مجموعة من الأشياء التي يُخلي فيها الإنسان المكان ويهيئ قلبه قبل أن نستشرف رمضان.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها